صعودنا الإلهي، رحلة مليئة بالأمل

الكسندر بيسكونوف
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

يحاول الناس العثور على السعادة طوال الوقت. إن البحث عن السعادة هو جزء من طبيعتنا. في الإنجيل، وعد الرب رسله، وبالتالي وعدَنا جميعاً، "حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ دائم". ومع ذلك، في كثير من الأحيان، يجد الناس أن سعادتهم لا تدوم، وأن عزاءهم وراحتهم مجرد وَهْم. فيواصلون البحث في مكان آخر وهُم محبَطون، وبقدر ما يبحثون، يفقدون سلامهم وراحتهم. فتتحول حياتهم إلى فراغ لا نهاية له لا يعرفون كيف يملؤونه. إن الفرح الأبدي الذي يعِد به الرب جميع أبنائه بعيد عن متناولهم.

إذ نحتفل بيوم أحد القديس يوحنا السلّمي في الأسبوع الرابع من الصوم الكبير، تدعونا الكنيسة لنفحص ما إذا كنا نبحث عن الفرح الموعود في المكان الصحيح. هل نعطي أهمية كبيرة للأشياء المادية؟ هل نسمح لعواطفنا الخاطئة أن تأخذنا أسرى؟ إنها تذكّرنا بأن نوجّه أعيننا إلى الله، ونشعر بحضوره فينا، ونصلي من أجل أن تدوم علاقتنا معه وتتعمق.

في كتابه الممتاز "السلم إلى الله"، يتحدانا القديس يوحنا السلّمي بأن نخرج من منطقة راحتنا وننطلق في رحلة روحية. إنه يحضُّنا على الارتفاع فوق خطيئة العالم. ويصور الرحلة التي أمامنا في صورة سلم من ثلاثين درجة.

إن صعودنا السلمَ هو مشروع العمر. التقدم طويل وشاق، والإغراءات كثيرة. ومع ذلك، فهي لا تزال رحلة رجاء عظيم، لأنها تقودنا إلى الرب وملكوته السماوي. إن سلّم يوحنا السلّمي يشبه السلم الذي رآه يعقوب النبي في رؤياه في بيت إيل: قمّته تصل إلى السماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليه. إنه ليس مثل جبل الرياضي اليوناني سيسيفوس، الذي حُكم عليه بدحرجة صخرة لبقية حياته، فقط لرؤيتها تنهار من القمة.

كما يظهر في أيقونة القديس يوحنا السلّمي، فإن العديد من الناس يصعدون السلم نحو المسيح. يمكننا أن نرى عدة شخصيات غامضة تسحب بعض هؤلاء الناس من على السلم، وهذه تمثل الشياطين والقوى الشيطانية. ومع ذلك فإن الرب ينتظرهم في القمة. الملائكة القديسون يسلمون عليهم. والقديس يوحنا السلّمي نفسه واقف وسط إخوته يصلي من أجل الذين على السلم أن يثبتوا في صعودهم الإلهي.

كلُّ يوم في رحلتنا الصيامية المستمرة يشبه صعود سلم القديس يوحنا السلّمي. عندما نتحلى بالصبر في صومنا، ونكثّف حياة صلاتنا وننخرط في أعمال الرحمة، نقترب من جائزتنا في السماء، حيث ملائكة الله وجميع القديسين الذين يساعدوننا يقومون بهذا العمل الروحي.

نأمل أن تصبح رحلتنا الروحية لصعود السلم أفضل وأكثر شبهاً بالمسيح كل يوم. في بعض الأيام، قد نجد أنفسنا خارج المسار، أو مشتتين، أو ربما لسنا على السلم. لكن الرب يمنحنا دائماً فرصة للقيام بعمل أفضل. فيرسل لنا نعمته لمواصلة صعودنا والترحيب بنا في ملكوت السماوات.

Source: Alexander Piskounov. Our Divine Ascent, a journey full of hope. Essays and interviews. Sunday of John Climacus. March 27, 2023. St. Elisabeth Convent. https://obitel-minsk.org/en/sunday-of-john-climacus